اخبار الوبآء الاخيرة

آخر ما ورد من بمباي ان الوبآء لم يزل يفتك فيها فتكاً ذريعاً والمهاجرة لم تزل على ازدياد ويقدّرون ان عدد الذين يخرجون منها في كل يوم ٨٠٠ شخص وقد بلغت الوفيات على ما في تقرير الحكومة الرسمي في الاسبوع الذي آخرهُ ٢٣ فبراير ١,٦٩٠ منهم ٧٨٠ بالطاعون وهو غير صحيح لان وفيات الاسبوع المذكور بهذه العلة تزيد على ١,٢٠٠ ولا غرابة في ذلك لان حكومة الهند الانكليزية لم تجرِ الاحكام التي تقررت اخيرًا في اتخاذ التدابير الملائمة لصحة العموم واجبار السكان على العمل بها

لطيفة

كانت حضرة سيف الدولة بن حمدان كعبةً لوفود اهل العلم والادب وكان المتنبي عندهُ المكانة الاولى على ما هو مشهور حتى حسدهُ مَن بابهِ من الشعرآء . ومن لطيف ما يُروَى ان الخالديّين — وهما شاعران أخَوان كان اكثر شعرهما مُشترَكاً بينهما — قالا يوماً لسيف الدولة انك لتغالي في شعر المتنبي فلو اقترحتَ علينا ما شئت من قصائدهِ حتى نعمل اجود منها . فدافعهما في ذلك زماناً ثم كرّرا عليهِ فاعطاهما القصيدة التي مطلعها

لعينيكِ ما يلقى الفؤاد وما لقي ... وللحبّ ما لم يبقَ مني وما بقي

فأخذاها وأقبلا يتصفحانها فعجبا من اختيار سيف الدولة لها اذ لم تكن من فائق شعر المتنبي ثم عادا ينظران فيها حتى انتهيا منها الى قولهِ

اذا شآء ان يلهو بلحية احمقٍ ... أراهُ غباري ثم قال لهُ الحَقِ . . .

فقطنا لمراد سيف الدولة ولم يعاوداهُ

السيد جمال الدين الحسيني الافغاني

هـذا جمال الدين أمسى نازلاً جدثاً تضمّن منـهُ أسنى دفنِ
قَدَرٌ بهِ عمّ البكاءُ على امرئٍ قصدت بهِ الدنيا جمال الدينِ

نعت الينا أنباءُ الآستانة انسان عين الفضل والكمال ومجمع أشعة الحكمة بل قطب دائرة العلوم على الاجمال رُحلة البلغاءِ وقدوة العارفين

وقاضي علوم الدنيا والدين السيّد جمال الدين الحُسَيني الأفغاني المشهور فرع الأرومة الزكيّة وسليل الحسب القائم من منصب السؤدد في الذروة العليّة فكان لمنعاهُ يومٌ اشتدّ وقعهُ على القلوب والحاجر وطال في وصفهِ انين الأقلام فأمدّتها بالدمع عيون المحابر وكيف لا وهو خطيب الشرق الذي رنّ في الخافقين صدى خطابهِ وإمامهُ الذي انبثقت انوار اليقين من سماء محرابهِ وأُستاذ علومهِ الذي ما فتئت الحكمة تدفق بين فؤادهِ ولسانهِ وتطلع شموس البلاغة من بين خاطرهِ وبيانهِ وتجري مناهل العرفان بين أقلامهِ وبنانهِ

قضى رحمهُ الله في التاسع من الشهر الغابر بعلّة السرطان وقد تشبث منهُ بين الفكّ والنحر ودبّ في مجرى الفصاحة منهُ ولا عجب أن يدبّ السرطان في البحر فقبض ذلك اللسان عن تدفُّق عُبابهِ وحبس تلك الدُرَر فما يبرز مكنونها من حجابهِ الى ان نقلهُ الله الى جوارهِ فذهب حميد الاثر ودُفن في قرافة المشايخ مذكورًا بالرحمة ما غاب قمر وناح طائرٌ على شجر

وهذه ترجمتهُ نلخّصها عن فصلٍ لحضرة العلّامة الفاضل الشيخ محمد عبده الشهير صدّر بهِ تعريب رسالتهِ التي كتبها في ابطال مذهب الدهريين على ما سيجيء ذكرهُ في الترجمة قال حفظهُ الله

هو السيّد محمد جمال الدين ابن السيّد صفتر من بيتٍ عظيم في بلاد الافغان تُمى نسبهُ الى السيّد عليّ الترمذيّ المحدّث المشهور ويرتقي الى سيّدنا الحسين بن عليّ بن ابي طالب كرّم الله وجههُ . وآل هذا البيت عشيرةٌ وافرة العدد تقيم في خطة كَنَر من اعمال كابُل ولها منزلةٌ عليّة في قلوب الافغانيين يجلّونها رعايةً لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادةٌ على جزء من الاراضي الافغانية تستقلُّ بالحكم فيهِ وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جدّ

الامير الحالي وامر بنقل ابي السيد جمال الدين و بعض اعمامهِ الى مدينة كابل

وكان مولد السيد جمال الدين في قرية اسعد آباد من قُرَى كَنَر سنة ١٢٥٤ وانتقل بانتقال ابيهِ الى مدينة كابل و بها نشأ وتلقى علوماً جمة برع في جميعها منها علوم العربية بأطرافها والتأريخ العام والخاص وعلوم الشريعة بفروعها والمنطق والحكمة العملية والنظرية والعلوم الرياضية ونظريات الطب والتشريح . اخذ جميع تلك الفنون عن أساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسهِ في الثامنة عشرة من سنهِ . ثم عرض لهُ سفرٌ الى البلاد الهندية فأقام بها سنةً و بضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة . وأتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لأداء فريضة الحجّ فاقام نحو سنةٍ يتنقل من بلدٍ الى بلد حتى وافى مكة المكرّمة سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها واخلاقها واصاب من ذلك فوائد غزيرة . ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلادهِ فدخل في بطانة الامير دوست محمد خان وصحبهُ في غزوة هراة وبعد وفاة الامير دوست اتصل بالامير محمد اعظم خان ولما أفضت الامارة اليهِ بعد اخيهِ محمد افضل خان رفع منزلتهُ واحلّهُ محلّ الوزير الاول . ثم نشبت الحرب بين محمد اعظم خان وشير علي بن دوست وكانت العاقبة فيها لشير علي فانهزم محمد اعظم خان الى بلاد ايران و بقي السيد جمال الدين في كابُل مرعيّ الحرمة الى أن شعر بما اوجب تحذُّرهُ على نفسهِ فاستأذن شير علي في الخروج الى الحج وارتحل عن طريق الهند فأقام بها مدة شهر ثم نهض فركب الى السويس ودخل مصر فاقام بها أياماً يخالط اهل العلم . وفي اثناء ذلك عرض لهُ مأربٌ في السفر الى الآستانة فارتحل اليها ولم يطل مُقامهُ بها حتى تقرب من قلوب

الامرآء والوزرآء وعلا ذكرهُ بينهم وتناقلوا الثنآء على علمهِ ودينهِ وأدبهِ . ثم سُمّي عضوًا في مجلس المعارف فكان منهُ في هذه الخطة ما احفظ عليهِ قلب شيخ الاسلام فجعل وكدهُ السعي في اقصآئهِ حتى تمكن من ذلك في خبر ليس هذا موضعهُ واستخرج امرًا من جانب الصدارة بنفيهِ من الآستانة فغادرها متوجهًا الى مصر ووصلها في أول المحرَّم من سنة ١٢٨٨ . ولما القى بها عصاهُ أجرت عليهِ الحكومة رزقًا شهريًا فاتخذ لهُ بها منزلاً وجعلت طلبة العلم تتوافد عليهِ فصادفوا منهُ بحرًا عذب الموارد زاخرًا بالفوائد . ثم رغبوا اليهِ في القرآءة فقرأ عدةً من الكتب العالية في فنون الكلام والحكمة النظرية والهيئة والتصوف واصول الفقه فعظم امرهُ في نفوسهم وانتشر صيتهُ في الديار المصرية . ثم وجه عنايتهُ لتنوير البصائر واماطة حُجُب الاوهام وحمل تلامذتهُ على العمل في الكتابة وانشآء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظرهِ وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيهِ وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في الاغراض المختلفة منحصرين في عددٍ قليل

ولم يزل شأنهُ في ارتفاع والقلوب عليهِ في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر المغفور لهُ توفيق باشا فسعى بهِ بعض ذوي المآرب عندهُ حتى غيروا قلبهُ عليهِ فامر باخراجهِ من القطر المصري فغادر مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر آباد وفيها كتب رسالتهُ (التي اشرنا اليها في صدر هذه الترجمة) في نفي مذهب الدهريين . ثم لما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دعتهُ حكومة الهند الى كلكتا فألزمتهُ الاقامة بها الى ان انقضى امر مصر . وبعد ذلك خرج الى اوربا ووصل الى لندرا فأقام بها اياماً ثم انتقل الى باريز فلبث بها ما يزيد على ثلاث سنوات وهناك كلفتهُ جمعية العروة الوُثقى ان ينشئ جريدةً تدعو المسلمين

الى الوحدة تحت لوآء الخلافة الاسلامية فنشر منها ثمانية عشر عددًا هي آيةٌ في قوّة البلاغة وحسن البيان ثم كان من الحوادث ما اوجب الامساك عن نشرها فبقي بعد ذلك مقيماً باوربا اشهرًا في باريز واخرى في لندرا الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيهِ رجع الى البلاد الايرانية

أما منزلتهُ من العلم وغزارة المعارف فليس يحدّها قلمي الّا بنوعٍ من الاشارة اليها . ان لهذا الرجل سلطةً على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خُلق لهُ . وكل موضوعٍ يُلقى اليهِ يدخل للبحث فيهِ كانهُ صنع يديهِ فيأتي على اطرافهِ ويحيط بجميع اكنافهِ ويكشف ستر الغموض عنهُ فيظهر المستور منهُ واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها . ثم لهُ في باب الشعريات قدرةٌ على الاختراع كأن ذهنهُ عالَم الصنع والابداع ولهُ لَسَنٌ في الجَدَل وحذقٌ في صناعة الحجة لا يلحقهُ فيهما احد الّا ان يكون في الناس من لا نعرفهُ وقد اعترف لهُ الاوربيون بذلك بعد ما اقرّ لهُ الشرقيون . وبالجملة فاني لو قلت ان ما آتاهُ الله من قوّة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قُدّر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ . ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشآء والله ذو الفضل العظيم

أمّا اخلاقهُ فسلامة القلب سائدة في صفاتهِ ولهُ حلمٌ عظيم يسع ما شآء الله ان يسع الى ان يدنو منهُ احدٌ ليمسّ شرفهُ اودينهُ فينقلب الحلم الى غضب تنقضّ منهُ الشهب . وهو كريمٌ يبذل ما يدهِ قويّ الاعتماد على الله عظيم الأمانة سهلٌ لمن لاينهُ صعبٌ على من خاشنهُ قليل الحرص على الدنيا ولوعٌ بعظائم الامور عزوفٌ عن صغارها شجاعٌ مقدامٌ لا يهاب الموت . انتهى المنقول من كلام الشيخ

ووقفنا لهُ على ترجمةٍ اخرى باللغة الفرنسوية فيها انهُ بعد ما فاوق اوربا سار يريد نجد فوافتهُ رسالةٌ برقية من الشاه ناصر الدين سلطان العجم يدعوهُ اليهِ فتحوّل قاصدًا بلادهُ ولما بلغ طهران احتفل بهِ الشاه احتفالاً بالغًا وادناهُ منهُ ورفع منزلتهُ وسماهُ وزير حربهِ وكان ينوي ان يرقيهُ الى مقام الصدارة

وبعد ان اقام مدة ببلاد فارس شاع ذكرهُ وتناقلت الألسنة فضائلهُ وغزارة علمهِ وادبهِ فتواردت عليهِ الخاصّة من وجوه البلاد وامرآئها وعلمآئها ورأوا من كمال فضلهِ وسعة معرفتهِ باحوال السياسة والتأريخ وسائر العلوم قديمها وحديثها وتبحرهِ في معرفة الاديان مع ما رُزِقهُ من توقّد الذهن وبلّة المنطق وقوّة الخطاب ما بهرهم وعظُم بهِ وقعهُ في نفوسهم فانصرفت اليهِ الوجوه وملكتهُ القلوب اعنّة اهوآئها . ورأى الشاه ان تسلّطهُ على النفوس يزداد كل يوم وحرمتهُ تعلو عند الامّة فاستشعر خشيةً من امرهِ واضمر الحذر من ناحيتهِ وتبين السيد جمال الدين ذلك من قِبَل الشاه فاستأذنهُ في الانصراف وخرج من البلاد الايرانية فصار الى موسكو ثم تحوّل الى باريز لشهود معرضها الذي كان سنة ١٨٨٩ وفيما هو مارٌّ في مونيخ من بلاد الألمان وافق الشاه بها فاجمل ملتقاهُ ودعاهُ للمصير الى بلادهِ وألحّ عليهِ في ذلك فسار في صحبتهِ وما كادت تستقرّ قدمهُ في بلاد ايران حتى تألب القوم حولهُ بما أرى على ما كان منهم في المرّة الأُولى ثم رغب اليهِ المتفقهون منهم ان يرسم لهم قوانين دستورية تجري بها الاحكام في نصابها من النَصَفة والعدل وتُلزَم الحكام العمل بمقتضاها فأسرّ جمال الدين ذلك في نفسهِ ثم تلطف في عرضهِ على الشاه فاستصوبهُ ومال الى موافقتهِ عليهِ لكنهُ لم يلبث ان نكل عن قبولهِ بمشورة الصدر الأعظم فانهُ حذّرهُ عواقبهُ بحجة ان الأُمّة غير متأهبةٍ لهُ فضلاً عن انهُ

يؤدّي الى تقييد سلطة الشاه وربما كان سبباً في تقويض عرشهِ

فلما رأى جمال الدين ذلك خرج الى المشهد المعروف بشاه عبد العظيم وهو مقامٌ مبنيٌّ على نحو اثني عشر ميلاً من طهران يُفضَى اليهِ بسكة حديدية فاستمرّ القوم يختلفون اليهِ في مقامهِ ذاك يفاوضونهُ فيما أُشربتهُ قلوبهم من امر القوانين والاحكام الى ان اتى على ذلك نحوٌ من ثمانية اشهر وامرهُ لا يزداد الّا انتشارًا حتى ثارت الخواطر في جميع اطراف البلاد

وتخوّف الشاه عاقبة ذلك على سلطانهِ فوجّه الى شاه عبد العظيم خمس مئة فارس مدججين بالسلاح قبضوا عليهِ وهو مريض في فراشهِ وقادهُ خمسون منهم الى الحدود العثمانية فكان عن ذلك هرجٌ شديد في البلاد الايرانية وانتشرت المشاغب وكثرت الرسائل والمنشورات وتواردت على الشاه كتب التهديد بان يجري على مقترحهم او يخلع نفسهُ من الملك حتى بلغ منهم ان حاصروهُ يوماً في قصرهِ

وسار جمال الدين بعدْ ذلك الى البصرة لتفاقم العلة عليهِ بسبب اشتداد البرد في تلك الديار فلبث بها سبعة اشهر الى ان تماثل من مرضهِ ثم نهض متوجهاً الى لندرا فأنشأ بها جريدةً سماها ضيآء الخافقين اكثر فيها من الطعن في سياسة الشاه وتهييج خواطر الأمة من رعيّتهِ عليهِ وكان يكثر التردد الى المحافل السياسية يخطب فيها في أمر الشاه وحضّ رجال الدولة الانكليزية على خلعهِ واقام على ذلك مدة ثمانية اشهر . وفي اعقاب ذلك بعث السلطان عبد الحميد يستدعيهِ اليهِ على يد رستم باشا سفيرهِ في لندرا فأجاب بعد ما امتنع على أن يؤذَن لهُ في العودة الى اوربا متى شآء وقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ فتلقاهُ السلطان بتعطفاتهِ واحسانهِ واجرى عليهِ رزقاً واسعاً وكان كثيرًا ما يدعوهُ ويخلو بهِ في

أغراضٍ سياسية ليس من شأن هذه المجلّة التعرّض لها ولا لغيرها مما اتفق لهُ من الحوادث مدة اقامتهِ بالآستانة حتى ظهر فيهِ الدآء فألزمهُ الفراش أشهرًا قاسى في اثنآئها عذابًا واصبًا الى ان اختار لهُ الله ما عندهُ فذهب مأسوفًا عليهِ تغمدهُ الله برضوانهِ وافرغ عليهِ سحائب رحمتهِ وغفرانهِ

***

هذا ما وقع الينا من ترجمة هذا الرجل الشهير وهي كما تراها أدنى ان تكون ترجمة رجلٍ سياسيٍّ قد جعل نُصبَ ناظرهِ غرضًا بعيدًا لا تبلغ اليهِ ذراعهُ ولا تصبر عنهُ همتهُ وأطماعهُ فهو ابدًا تمثال يقظتهِ وطيف منامهِ وحديث خواطره في رحلته ومُقامهِ

وكنتَ اذا ارسلتَ طرفك رائدًا ... لقلبك يومًا اتعبتك المناظرُ

ورأيتَ الذي لا كلهُ انت قادرٌ ... عليهِ ولا عن بعضهِ انت صابرُ

فأقبل يضرب اليهِ آباط المسالك ويُكثِر في التماسهِ من الحركة في البلاد والتنقل في الممالك لا تستقرّ لهُ قَدَمٌ ولا يقف على ساق ولا ينزل رحلهُ في افقٍ من الآفاق ولسان حالهِ ينشد قول المتنبي

يقولون لي ما انت في كل بلدةٍ ... وما تبتغي ما ابتغي جلّ ان يُسمَى

وانما تُدرَك الآمال بمضافرة الرجال وتُبلَغ الاوطار بمؤازرة الاقدار ولا نصيرَ اذا لم ينصُر القَدَر ولا رفيقَ اذا توعرت شُقّة السفر وكانت محفوفةً بالخطر فلا عجب اذا قصّر مشايعوهُ عن مجاراتهِ وتخاذل مريدوهُ عن موالاتهِ فكان كما قال المتنبي ايضًا

وحيدٌ من الخلّان في كل بلدةٍ ... اذا عظُم المطلوب قلّ المساعدُ

وانما هي نفسهُ الكبيرة اقدمت بهِ على ركوب العظائم ومنّتهُ ان يبلغ منفردًا ما لا يُبلَغ الّا بالجيوش الخضارم فلا مأربًا نال ولا نفسهُ أقال ولكنهُ اضاع

ايامه في الطلب ولم يجنِ من امانيهِ سوى التعب وما احسن ما قال المتنبي ايضاً

واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسامُ

وانما انتزع المتنبي هذه المعاني من صحيفة أيّامهِ وما قرأ فيها من تخلُّف جدّهِ وتهدُّم إقدامهِ كما قال

ابدًا اقطع البلادَ ونجمي في هبوطٍ وهمتي في صعودِ

فقد طُبع الرجلان على غرارٍ واحد وان تفاوت لمحتدان ونشأا في منشإٍ واحد وان تباين البلدان فدَرَج كلٌّ منهما بين صليل السيوف وصهيل الجياد وترعرع بين مزاحف الصفوف ومواقع الجلاد في بلادٍ لا حكم فيها الاّ للغالب ولا شرع الاّ ما حكمت بهِ شفار القواضب وحقيقٌ بمن ربي على مثل تلك الحال ان يخرج صُلبَ النفس رغيب الآمال ولا سيما اذا كان لهُ قديمٌ يرجع اليهِ بصرهِ او فائتٌ يستحثهُ للكرّ على أثرهِ

وعجيبٌ من مثل السيّد على استضاءة بصيرتهِ بنور اليقين وضمّهِ بين حاشيتي علوم المتقدمين والمتأخرين ووقوفهِ على يفاعٍ من الحكمة يجمع الدنيا منهُ بنظرة ويستقصي اطرافها بلمحة وقد تجردت لهُ عن زينتها وزخارفها واماطت لهُ اللثام عن اباطيلها وسفاسفها أن يبقى في نفسهِ مكانٌ لشيءٍ منها يقال لهُ الرئاسة وتنزع همتهُ الى حالٍ من احوالها تسمى بالسياسة بل ما كان أجدرهُ وقد رُزق من توقد الذهن وسعة المحفوظ ما كان فيهِ آيةً من آيات الله واُوتي من قوّة الحكم وسرعة الخاطر ما انفرد فيهِ عن النظراء والأشباه ووعى في صدرهِ من اصناف العلوم العقلية والنقلية ما كان فيهِ نسيج وحدهِ ومن سياسات الممالك وتواريخ الأمم ما عزّ على غيرهِ من بعدهِ أن يُنزل نفسهُ من دُنياهُ حيث أنزلتهُ الفطرة ولا يتعدى ما قسم لهُ القدَر ووجد من نفسهِ عليهِ القدرة

فيصل أيامهُ وقفًا على الاشتغال والنفع واستزادة ما شاء الله من العلوم مما هو متأهبٌ لهُ بالطبع وتسطير ما يُفتح بهِ عليهِ مما غفل السلف عن تدوينهِ او فاتهم الوصول اليهِ من علوم هذا العصر وفنونهِ ولو فعل لكان إمام الدنيا بلا مدافع وكانت حياتهُ طافحةً بالفوائد والمنافع ولتجاوبت الآفاق من صدى ذكرهِ بما لا يأتي عليهِ كرور الليال ولا ينقرض الاّ باقراض القرون والاجيال فسبحان من لا يَشغلهُ شأنٌ عن شأنٍ وهو الكبير المتعال

أسئلة وأجوبتها

القاهرة — قد استفاضت الجرائد في هذه الايام بذكر ما يسمّى بالدوطة فمن الكتّاب من نقلها بلفظها الاعجمي ومنهم من عرّبها تارةً بالمَهر وتارةً بالصَداق وهما خلاف المقصود لان المراد بهما ما يؤدّيهِ الزوج الى الزوجة عند عقد القران والدوطة بالعكس كما هو معلوم فهل كان عند العرب شيءٌ يقابل الدوطة وايّ لفظٍ يصحّ ان يعبَّر بهِ عن هذا المعنى ليبة ماضي

الجواب — لا شك ان العرب لم يكن عندهم شيءٌ في معنى الدوطة اذ لم يكن ذلك معروفًا عندهم كما لم يكن معروفًا عند اهل المشرق عامةً ولذلك لم يكن في لسانهم لفظٌ يعبَّر بهِ عن هذا المعنى . على ان الظاهر من استعمال لفظة الدوطة عند الافرنج انها غير مخصوصة بالمال الذي تؤدّيهِ الزوجة الى الزوج وانما هو قيدٌ اتفاقيٌّ غلب بغلبة العادة فانهم يستعملونها ايضًا بمعنى المال الذي